مفهوم المدينة في العصر المروي

د. محمد البدري سليمان بشير
قسم الآثار – كلية الآداب - جامعة الخرطوم

المستخلص:

علي الرغم من كثرة الدراسات الآثارية المتعلقة بالحقبة المروية - القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي- الا أن القليل منها قد ناقش تفصيلا شبكة المدن المروية والعلاقات بينها. كما أن معرفتنا بالدور الذي لعبته المدن المروية في اقليم النيل الأوسط لا يزال يكتنفه الغموض. ناقشت هذه الدراسة الخصائص والسمات الرئيسية للمدن المروية، وذلك لتسليط مزيد من الضوء علي ظاهرة التمدن في العصر المروي، ولتقديم تعريف معتبر لمفهوم علم آثار المدن المروية، بناءً على نتائج الأعمال الآثارية الحديثة في عدد من المواقع المروية والتى أظهرت العديد من السمات المشتركة. عرفت الدراسة المدن المروية بأنها مستوطنات تتكون من أربعة أقسام رئيسية: مباني رسمية، مباني مدنية، ورش تصنيع، اضافة الي وجود مدافن بالقرب منها. بالطبع، هناك بعض السمات الخاصة بأقاليم جغرافية معينة، مثل وجود الحفائر في إقليم مروي، وكذلك وجود التحصينات الدفاعية التي تعتبر سمة غالبة للمدن التي تقع في المناطق الحدودية.

كلمات مفتاحية: آثار، معمار، تخطيط، أنواع، توزيع

Meroitic Urban Centers: Acomparative Archaeological Study between kedurma and Hamadab

Mohamed Albdri Sliman Bashir

Abstract:

Scholars agree that Meroitic civilisation flourished between the 3rd century BC and the 4th century AD (Shinnie: 1967; Adams: 1977; Hakem: 1988; Edwards: 1998). However, few archaeologists have discussed in detail Meroitic urban centres, the interconnectedness of sites and the relationships between them (Edwards, 1996, 2004), (Welsby, 1996; Baud, 2008; Wolf, 2015). Nevertheless, our knowledge of the role of urban Meroitic settlements in the Middle Nile region is very limited. In this study, Meroitic urban centres are examined to shed more light on the nature of the centres and to provide a better understanding of the concept of urban Meroitic archaeology based on

the results of recent archaeological investigations at many sites that share various common features and characteristics.

The research defined Meroitic urban centres as settlements consisting of four districts, official buildings, residential quarters, an industrial sector and a cemetery nearby, although some other criteria were limited by the nature of the regions, e.g. the existence of water reservoirs (hafirs) in the Meroe region, especially in the Butana, and fortification walls, which in most cases referred to the border zones.

Key Words: Archaeology, Architecture, Planning, Types, Distributions.

المقدمـــة:

لاتزال دراسة المدن في العصر المروي في مراحلها الأولى، ذلك نسبة لأن معظم الأعمال الآثارية المبكرة قد تركزت علي المباني الرسمية والدينية مثل القصور والمعابد، وأهملت بذلك دراسات المباني المدنية ومساكن العامة ومايليها من تخطيط حضري وسمات مدنية، وعلى الرغم من العدد الكبير للمواقع التي يمكن تصنيفها كمدن في العصر المروي الا أن القليل منها قد تم إستكشافه آثاريا ولم تجر دراسات كافية بعد لتقدير دور تلك المدن في شخصية مملكة مروي وعلاقاتها بما حولها من أماكن ريفية.

عرفت المدن في العصر المروي أولاً من الشمال «النوبة السفلي» وذلك نسبةً لتوفر الدليل الآثاري الكافي من تلك المنطقة لما شهدته من أعمال حقلية مكثفة، نتيجة لحملات إنقاذ آثار النوبة الثلاث. وقد أكد الدليل الآثاري وجود كمية من المباني الرسمية التي تمثل الوجود الملكي الفعلي أو من ينوب عنه في مواقع مثل مينارتي وفرس وكرانوق (Edwards:1996:6)، وقد عكست التقنية المستخدمة في هذه المباني درجة مهارة منشؤها (Adams:1977:357).

أما في المنطقة بين الشلالين الرابع والثالث، فقد أسست معظم المراكز الحضرية استنادا علي مدن قديمة منذ عصر الدولة المصرية الحديثة ونبتة، وذلك مثل مواقع البركل والكوة وتبو، والتي بدأت كمراكز دينية لعبادة الإله آمون واستمرت بعدها حتي نهاية الفترة المروية (Hakem: 1988:82).

أما في الأقاليم الوسطى لمملكة مروي- حيث العاصمة مروي ومدن النقعة والمصورات الصفراء- فلم تكن الصورة واضحة تماماً نسبة لقلة الأعمال الآثارية في مواقع المدن بالمنطقة حتي وقت قريب (Baud: 2008:52). وقد لعبت الأعمال الآثارية الحديثة في عدد مقدر من هذه المواقع دوراً كبيراً في فهم طبيعة تلك المواقع مما قاد إلى فهم أفضل لأنماط الإستيطان المدني في العصر المروي، مثل مواقع الدانقيل (Ahmed and Anderson: 2005)، الحماداب (Wolf: 2006)، الحصا (Lenoble and Rondot 2003; Rondot 2006)، المويس (Baud: 2014:763)، العواليب (Eltayeb and Kolowska: 2005:145)، أبورتيلة (Fantusati et al:2014:239)، الكيتواب (عبد المجيد: 2018)، ود بانقا (Onderka and Vrtal: 2014:125)، أنظر الخريطة رقم (1).

خريطة رقم (1) توزيع المواقع الرئيسية في مملكة مروي

المصدر: معدلة عن (Edwards:2004:143:)

سمات المدينة المروية:

أولاً: المعمار والتخطيط:

أوضحت دراسة المباني الصروحية المروية أن عددا مقدرا منها قد بني وفقا لمبادئ تخطيطية محكمة، وبالطبع فإنه يمكن ملاحظة التأثير الخارجي في بعض منها وفي بعض المواد الأثرية الأخرى، الا أن الأهم هو الكيفية التي استخدمت بها هذه السمات الخارجية، والتي تم مزجها في قالب محلي مما أنتج نوعاً فريداً من الفن المعماري الذى ينسب لمملكة مروي (Hinkel: 1991:221).

بنيت معظم المدن المروية من الطوب اللبن، وهو المادة المتاحة، والتي يمكن الحصول عليها بسهولة في المواقع، وتعد هذه المادة مناسبة لظروف الطقس الحار والمتقلب، لذلك أستخدمت علي نطاق واسع في منطقة النيل الأوسط منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد وإستمر إستخدامها إلى الآن (Nowotnick et al:2017:2). تميزت معظم البيوت بحوائط رفيعة، وطابق واحد، وقد بنيت المباني العامة وحدها كالمعابد والقصور من حوائط سميكة، وهي في معظم الاحيان من الطوب اللبن المضاف اليه وجه آخر من الطوب المحروق أو الحجر الرملي المطلي بالجبص الأبيض، أنظر الأشكال رقم (2-1).

إن الخاصية المميزة للتصميم المعماري المروي هي إصطحاب المستطيلات التوافقية التي تحدد الحدود الخارجية للخطة. حيث تم تطوير «التناغم الداخلي» للنمط المصري في البنايات المقدسة إلى مبدأ «الوئام الخارجي» في الأزمان المروية، ممثلة في العمارة المقدسة لمعبد الأسد في موقع المصورات الصفراء (Hinkel:1991:222)، أنظر الشكل رقم (6). وقد إستخدم البنّاء المروي «المثالية» و «الأرقام الأكثر مثالية» بالإضافة إلى «الوحدة» باعتبارها وحدة قياس ، مما زاد نسبة الاختلافات في التصاميم ، وقد استخدم البنّاء المروي كذلك «المثلث المصري» لـ Viollet-le-Duc`s ، متضمنا النسبة 8: 5 ، والتي وجدت نظيراتها في إستخدام «العدد الأكثر اتقانا» 16 وفي «العدد المثالي» 10. وربما ساعد هذا القبول بشكل كبير في إدخال النظام الجديد الذي تم تطبيقه على معابد الآلهة المروية المحلية تاركاً وحدة القياس المصرية .(Hinkel: 1991:223)

كشفت الأعمال الآثارية الحديثة في عدد كبير من مواقع المدن في قلب الأراضي المروية أن معظمها قد بدأ في تطوير سمات مشابهة، والتي أعتبرت هنا كمؤشرات او سمات رئيسية للمواقع الحضرية في العصر المروي وهي، المعابد، والقصور، والمباني الإدارية، إضافة إلي المباني المدنية «المحلية» والمناطق الصناعية. وقد إعتمدت توزيع هذه المدن جغرافيا- أي مواضعها في الأقاليم المروية- بصورة كبيرة علي قربها من الأودية، أو عند ملتقي الأودية مع النيل، حيث من الممكن أن تستخدم الأودية كمصادر للزراعة أو كطرق تجارية تقود نحو الشرق والغرب (Shinnie: 1979:125). ومن أمثلة ذلك موقع مدينة مروي عند مدخل وادي الهواد، ود بانقا في مدخل وادي العواتيب، النقعة علي ضفة وادي الهواد، المصورات الصفراء علي وادي البنات، المويس و العواليب علي وادي الهواد، الحماداب عند ملتقي وادي الهواد مع النيل.

كذلك من تلك السمات المشتركة مساحة المدن، حيث أن معظمها يشمل مساحة جغرافية متقاربة (Edwards: 2004:148)، ومعطيات آثارية مشتركة (Baud:2008:60). خلاصة ذلك ان كل موقع يحتوى على ثلاثة قطاعات رئيسية:

أولها :القطاع الملكي وأبرز سماته القصر والمعبد والساحة أمامهما. وثانيهما القطاع شبه الرسمي، الذى يتيميز بوجود المباني الرسمية والسكنية ويرتبط وظيفيا مع المعبد والساحة، أما القطاع الثالث فهو مناطق التصنيع والتي غالبا مايغطي سطحها أكوام من خبث الحديد أو مخلفات صناعة الفخار، أو كلاهما (cf. Buda: 2008:52; Wolf et al: 2008).

تميز تخطيط المدن المروية كذلك بأنماط المباني المتوجهة مع الشوارع الضيقة والمباني المتلاصقة او المكتظة، والتى تميز كذلك اطراف المدن، مثال علي ذلك مدينة الحماداب التي بنيت محصنة بحائط ضخم في شكل مربع، يقود الطريق الرئيسي فيها نحو المعبد، كما تعكس المباني المحلية جودة التخطيط المعماري المميز للمستوطنات الحضرية ذات الوجود الرسمي «الملكي» (Wolf et al: 2015:123)، أنظر الشكل رقم(1).

مارس البنّاء المروي في بعض الأحيان الأسلوب المصري الفرعوني في بناء المدن، خاصة المباني الرسمية فيها، وخير مثال لذلك وجود القصر الملكي متعامدا مع الزاوية اليمني للمعبد (Kendall: 1991: 302-313). وقد تمت ملاحظة وجود هذه الظاهرة في مدينة مروي الملكية حيث تعامد القصري الملكي M750، مع زاوية المعبد M260 (Torok: 1997:182)، وفي مدينة المويس حيث تم الربط بين القصر الملكي والمعبد بطريق مخصوص (Baud:2014:781).

لشكل (1) نموذج لتخطيط المدن المروية الحماداب
المصدر: (Wolf et al: 2015:22)

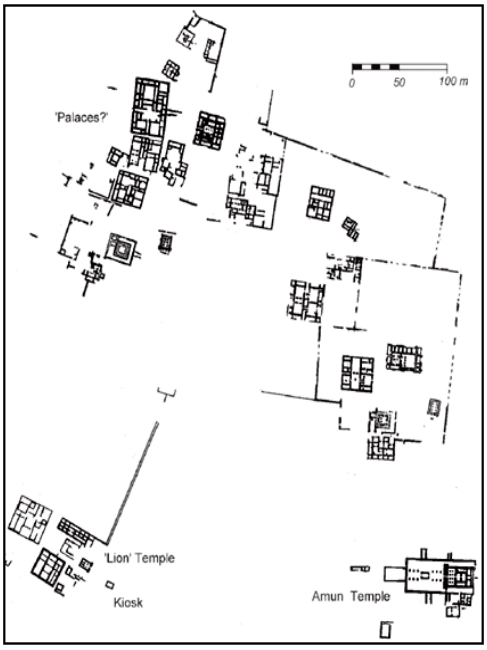

الشكل (2) مدينة النقعة
المصدر: (Edwards: 2004:152)

ثانيا: أنماط المباني المدنية:

القصور:

يعتبر وجود القصور في المستوطنات المروية سمة رئيسية للوجود الرسمي أو الملكي فيها، وهو يعكس أنشطة ذات طبيعة دينية ، إدارية، وإقتصادية مرتبطة بالنظام الملكي (Baud: 2008:60; Edwards: 2004:168-169).

وقد كشفت الحفريات أن المادة الرئيسية التى بنيت منها القصور هي الطوب اللبن مع بوابات من الحجر المرصوف، وفي بعض الأحيان تتم تقوية الأجزاء الأكثر أهمية منها بالحجارة، وفي أحيان أخرى تبنى القصور كلها من الحجر الرملي، ذلك مثل القصرين الملكيين M294, M295، بالمدينة الملكية مروي (Hakem:1988:88)، وقد تم طلاء أعمدتهما التي صمم بعضها في شكل زهرة اللوتس المفتوحة، وهذا ظاهر من بقايا تلك الأعمدة بالموقع.

إن السمة الغالبة في تخطيط القصور المروية هي مخطط مربع الشكل به عدد من الغرف بنيت حول مساحة مركزية، يضم الطابق الارضي فيها غرف التخزين، بينما توجد الأماكن الرسمية أو اماكن الحكم والإدارة في الطوابق العلوية، هذه الأنماط المعمارية تمت ملاحظتها في مناطق كثيرة، مثل مروي والنوبة السفلي (Maillot:2015:80).

وهناك نوعان رئيسيان من القصور المروية مختلفان زمنيا، تم صنيفيهما عن طريق أحمد الحاكم ومارك مايلوت (; Hakem: 1988:88; Maillot :2016: 257-258).

النوع الأول منهما يضم القصرين M996, M998، وفقا للحاكم، ويضم كذلك القصر رقم 100 في التسويرة العظيمة بالمصورات الصفراء وفقا لميلوت، وهو يعتبر في سماته محليا لم يوجد في مصر أو غيرها من الأماكن.

النوع الآخر تم التمثيل له بالقصرين M950, M995 , وفقا للحاكم وميلوت كذلك، وهو في نسق مصري، مبني فيما يعرف بتقنية المنصة المحصنة (casemate foundation technique or cellular plat-forms)، وخير مثال لذلك وفقا لميلوت، القصر الملكي B1500 بالبركل. هذان النمطان ليسا حكرا على إقليم مروي، فقد تم التعرف عليهما في أماكن مختلفة من مناطق النفوذ المروي (Hakem: 1988:88).

يميز النوع الأول بفناء محفوف بشرفة «فارنده» توجد بها أماكن التخزين، ويتم الوصول إلي الجزء العلوي من القصر عن طريق سلم داخلي. تم التعرف على هذا النمط في مواقع عديدة مثل فرس M600، وكرانوق (Hakem:1988:88) أنظر الشكل رقم (1).

أما النوع الثاني فهو مختلف عن الأول في أنه قد تم عزل الفناء والشرفة، وتم إستخدام الطابق الأرضي كأقباء أو غرف صغيرة للتخزين دون مداخل. كما تم الإستغناء عن السلالم بإستخدام الحشو في كثير من الاحيان بشكل مواز للحائط الخارجي. هذا النوع تم العثور عليه في مواقع ودبانقا (Vercoutter: 1962:279-287)، مروي M750 (Hakem:1988:88)، المويس (Baud:2014:780)، وجبل البركل (Barberini: 2010:170)، أنظر الشكل رقم (1).

الشكل (3) نماذج لانواع القصور المروية، فرص الشكل (4) المويس المصدر: (Edwards: 1996: 82)
المصدر: (Millot: 2016:.35)

المعابد:

هناك نوعان من المعابد المروية، مختلفان في التصنيف والترتيب الزمني، وهما معابد الإلهين آمون وأبيدماك.

تم التعرف علي النوع الأول من معظم المواقع المروية، وهو يؤرخ غالبا لفترات أسبق منذ العهود الفرعونية للدولة الحديثة وعهد نبته، ويتكون تصميمه من خطة ثلاثية محورية مع أقسام ثلاث ، الصالة الخارجية، قاعة الأعمدة، والمنطقة المقدسة «المحراب أو قدس الأقداس» (Rocheleau: 2008: 68). إضافة الى هذا هناك العديد من التعديلات التي غالبا ماتدخل علي الخطة الرئيسة للمعبد، وهي تدل علي وجود أنشطة دينية مخصصة، بعض منها يمكن ربطه بفترات زمنية أو أقاليم معينة (Rocheleau: 2008: 72). يتكون النمط الثاني للمعابد من غرفتين مع او غير بوابة شاهقة في الأمام، وهو مرتبط بالعبادة المحلية للإله الاسد أبيدماك، والذي إرتبطت عبادته بالجنوب المروي أكثر من الشمال (Hofman: 1987, cited in Wolf: 2004: p.443).

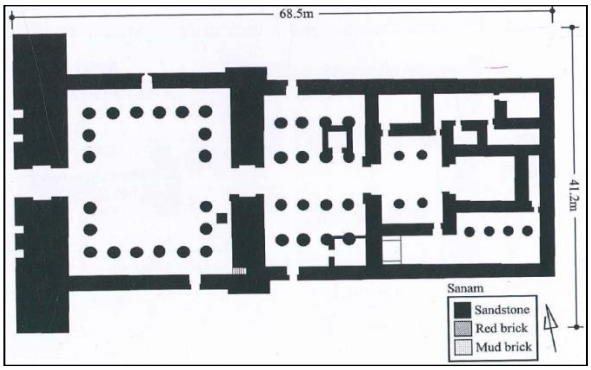

الشكل (5) أنواع المعابد المروية، آمون
المصدر: (Rocheleau, 2008)

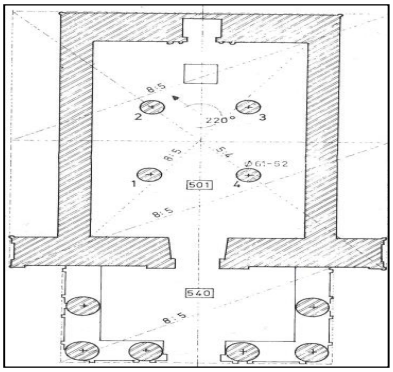

الشكل (6) معبد أبيدماك)
المصدر: Hinkel, 1993)

أماكن التصنيع (الورش):

يعتبر التصنيع والتخزين من السمات الرئيسية لمواقع المدن المروية، وقد تم إكتشاف العديد من أماكن التصنيع الكبيرة للمواد المختلفة من فخار وحديد وغيرها والتي غالبا ماتوجد في أطراف المستوطنات.

يتم تعريف هذه المناطق دائماً بالمناطق الصناعية « industrial mounds/ areas »، وهي تحتوي غالباً على عدد من الأفران المرتبطة بتصنيع الفخار أو الحديد أو كلاهما. وقد تم إكتشاف الأفران مختلفة الأحجام في مواقع كثيرة مثل مروي (Shinnie and Anderson:2004:73-79)، المصورات الصفراء (Ed-wards: 1999:40)، المويس (Baud,2008,53)، الحصا (Lenoble and Rondot 2003: 106)، الحماداب (Wolf: 2014:229)، سلب (Dabieslawa:2015:209)، الكوة (Welsby: 1996:168)، كدرمة (Ed-wards:1995:40)، دبيرة (Adams:2004:46-47, 112-116)، وهي تعكس سيادة نسبة كبيرة من ورش التصنيع المحلي المتخصصة في صناعة الفخار (Wolf et al: 2014: 725; Wolf: 2004:440).

المباني التجارية والمخازن:

وجدت مباني التخزين في أغلب الاحيان مرتبطة مع القصور في المواقع المروية، وقد أوضحت الحفريات الآثارية أنه لا فرق وظيفي مميز بين القصور والمخازن، فقد تم إستخدام الطوابق السفلى للقصور المروية في الغالب كمخازن (Adams: 1980:268)، هذا واضح في مواقع كثيرة مثل قصر الملك نتكماني بجبل البركل (Donadoni: 1993)، وقصر الملكة أماني شاخيتي بود بانقا (Edwards: 2004:168).

علاوة علي ما تقدم، فقد وجدت المباني التخزينية المنفصلة بالقرب من القصور والمعابد في مواقع كثيرة، مثل المبني M740 بمروي الذي وجد بالقرب من المعبد متعاصرا مع القصر الملكي M750 (Torok: 1997:518)، كذلك المبني الدائري في الكوم F بموقع ود بانقا حيث سلسلة الغرف الممتدة الضيقة المجاورة للكوم ((Vrtal: 2014:152-163. إن وجود المخازن بالقرب من أو مع المباني الملكية يعكس بصورة مباشرة سياسة اقتصادية أيديولوجية معينة، حيث تعتبر مباني التخزين عاملاً رئيسياً في إدارة موارد المملكة (Torok: 2010, cited in Maillot: 2015:85). ومن أمثلة مباني التخزين كذلك ماوجد في منطقتي فرص ومينارتي بالنوبة السفلي، حيث أكدت طبيعة المعثورات الأثرية المستخرجة السمة التخزينية لهذه المباني (Adams: 1980, p.268).

المعمار المحلي «المدني»:

تم التعرف علي المباني السكنية في معظم المواقع المروية، والتي إستخدم في بنائها الطوب اللبن بصورة غالبة عكست تنوع كبير في أنماط المباني وأنواعها، بحيث أنه يمكن وجود نمطين معماريين مختلفين في اقليم واحد وفي زمن واحد (Adams: 1980:272). أشارت هذه المباني إلى وجود تطور محلي في أنماط بنائها، وقد تم تطوير بعض منها من نماذج مصرية قديمة، تغيرت عبر الزمن في خواصها إلى النموذج المروي المحلي أو التقليدي، وهذا تمثله المباني السكنية المبكرة في كل من كرمة، نبته، والبناء المبكر في المصورات الصفراء، كذلك في الموقع رقم1 بالكوة (Fitzenreiter: 1999:133).

لم يتم التعرف علي الوحدات المعمارية السكنية للفترة المروية بصورة كاملة حتى الآن، ومع ذلك ، ويبدو أن الكتل الكبيرة قسمت داخليًا إلى وحدات منفصلة، والتي تختلف من مكان إلى آخر وتمثل الأسر الفردية (Nowotnick et al: 2017:9). تتكون هذه المباني من غرفة مفردة أو غالبًا مجموعة من الغرف

مرتبطة بفناء مرئي أو غير مرئي ، وهي مقسمة إلى مناطق وظيفية، وخير مثال لذلك تلك الموجودة في منطقة أرمينيا غرب (Fitzenreiter: 1999:121-122).

يساعد الترتيب الداخلي وتوزيع المعثورات الأثرية الصغيرة في كثير من الاحيان على إعادة بناء وظائف الغرف. وهناك أشكال أكثر تقدما في البناء، حيث يعتبر تعاقب الغرف في بعضها سمة مميزة، وقد عرفت هذه العناصر في التسلسل الهرمي المكاني من مصر أولاً منذ أقدم العصور وأُعتمدت بعد ذلك في المنطقة النوبية غالباً منذ فترة كرمة الوسيطة. وقد تميزت هذه الأنماط من المباني باستخدام مسافات متصلة وغير منتظمة في البناء، وكذلك بالمنازل في شكل حرف H، (H-House). والمنازل ذات الفناء أو الدهليز (Fitzenreiter: 1999:121-122). وصف وليام آدمز المنزل المروي النموذجي (Meroitic de luxe' houses model) في منطقة النوبة السفلي، وهو نمط يعكس إحترافية في البناء (Adams:1977:357)، وتمثله مباني كلٌ من وادي العرب، مينارتي، كرانوق، الشوكان ، وهي منازل مستطيلة أو مربعة ذات جدران متماسكة وسقوف مقببة مع مدخل واحد من الخارج. تتميز هذه المباني دائما بوجود حائط داخلي طولي يقسم المسكن الى نصفين متساويين تقريبا أو أقل ؛ وفي بعض الأحيان كانت الغرف في المنازل الكبيرة مقسمة بفواصل متقاطعة. و بناءً على وجود أو عدم وجود أقسام متقاطعة فإن البيوت النموذجية المروية تحتوي على غرفتين، ثلاث أو أربع غرف. وقد كانت بعض المنازل في كارانوق أكبر من ذلك بكثير حيث كان لأحدها ما لا يقل عن 24 غرفة في الطابق الأرضي ، وآخر إحتوى علي 12 غرفة (Adams: 1980: 272- 273).

تعتبر القطاطي من المظاهر المعمارية الفريدة في فترة مملكة مروي، ومع ان بقائها يصعب في السجل الأثري إلا أن هناك دلائل عديدة على وجودها في مروي-منطقة الكوم الشمالي (Shinnie and Bradley: 1980:29) وفي مناطق ابوقيلي وجبل موية (Addision: 1950: 97)، كذلك دل عليها تصوير في سلطانية مروية بمنطقة كرانوق (Bradley: 1980:285)، وفي نقش عيزانا هناك إشارات عديدة لها كأحد الانماط المعمارية التي قام الملك الاكسومي بتدميرها أثناء غزوه لمملكة مروي (Eizana Inscription)

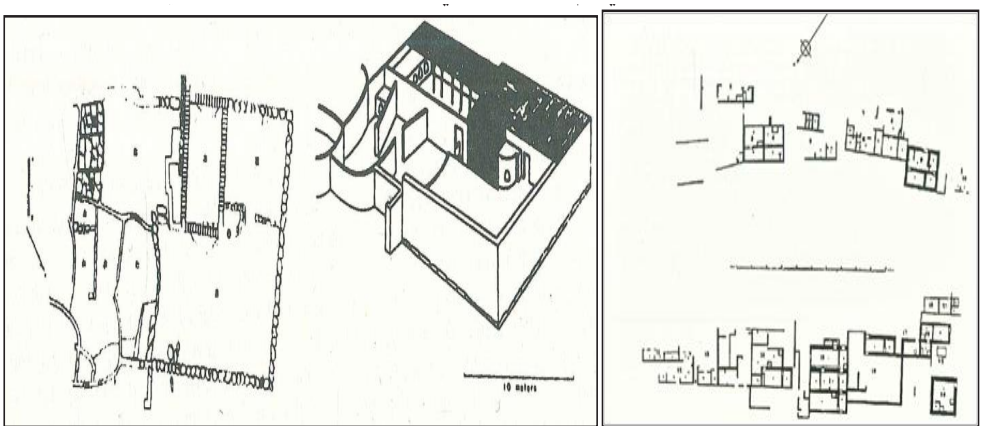

الشكل (7) نماذج للمباني السكنية، بوادي العرب، يميناً، والشكل (8) أرمينيا غرب، يساراً
المصدر: (Fitzenreiter: 1999:123-124)

ثالثاً: أنواع المدن:

ضم نفوذ مملكة مروي أقاليم جغرافية متنوعة مما مهد لممارسة أنماط حياتية مختلفة، وقد كان جزء من السكان المحليين بدوا رحلا سكنوا بطبيعة نشاطهم في مساكن متحركة «قطاطي» حيث يعتمد أسلوب الحياة والعيش في الاماكن المختلفة علي كمية المياه المتوفرة ونسبة الاراضي الزراعية المتاحة (Wels-by, 1996:137)، وقد لعب النيل دورا رئيسيا للحياة على ضفافه كما إستخدم كوسيلة إتصال دائمة، بينما شكلت المناطق البعيدة من ضفتيه جاذباً للإستيطان الذي نمى فيما بعد إلى مدن كبيرة (El-Bushra: 1971:70).

ويمكن تمييز أربعة انماط من المدن المروية بناءً علي مواقعها الجغرافية وتوزيعها:

المدن المحصنة:

ظهر هذا النوع من المستوطنات وتطور في منطقة النوبة السفلي، والتي تغيرت أهميتها وفقا لتغير العلاقات بين مملكة مروي وجيرانها حكام مصر في فترات تاريخية مختلفة. وبناء علي هذه الخلفية يمكن ملاحظة أن العوامل الدفاعية لعبت دوراً مهما في توزيع ومواضع المستوطنات المروية في المنطقة، مثالاً علي ذلك نجد أنه حتى مواقع القري الصغيرة وجدت في الجزر المحمية طبيعيا في منطقة الشلال الثاني مثل مواقع ميناريتي، جميناريتي، جزيرة ميلا و جمَّي (Edwards:2004:162)، أو في الأماكن الاستراتيجية مثل قصر ابريم (Woolley: 1911:12)، وجبل عدا (Millet: 1967:54)، أو تمركزت حول الأماكن الغنية محليا مثل كرانوق (Wooley:1911:3)، وفرس (Griifith: 1926: 25). ولمعظم هذه المواقع تاريخ طويل منذ فترة الممالك المصرية، حيث إستمر إستخدامها وتعديلها، لذلك من الصعوبة التعرف علي تسلسلها الزمني بصورة منتظمة (Adams: 1980:265).

مثالاً على ذلك نجد أنه في منطقة جبل عدا تم تحصين الموقع بسور ضخم بني من الطوب اللبن والحجر، أضيف اليه برج ضخم للمراقبة (Millet: 1967 :53-5). وقد أستخدم الطوب اللبن في بناء التحصين الأقدم زمنيا بسمك 2متر للحائط الذي بني فوق مرتفع الجبل، وقد تم تزويده بأبراج ضخمة يبعد كل منها عن الآخر بمسافة 12-10متر. يتم الدخول الي هذا التحصين عن طريق بوابة كبيرة في الجهة الشرقية يقود اليها طريق مرصوف (Millet: 1967:54). وعلى جانبي البوابة يوجد طريق مدرج يقود الي أعلى أبراجها. وقد تمت تقوية الأبراج من الخارج لاحقاً ببناء من الحجارة الرملية الذي تم تغطيته «تلبيسه او تليبسه» بالطين. وقد أظهرت البقايا المعمارية أن الموقع قد تم تعديله وصيانته خلال فترات تاريخية مختلفة (Wels-by: 2005:44).

كذلك هناك العديد من الجدران التي تحيط بالمستوطنات المروية، ولكن لاتغلب علي طبيعتها السمة الدفاعية، فقد وجدت خصيصا لفصل المباني الدينية، مثال لذلك موقع الكوة حيث تم تسوير المعابد بجدار (Welsby:2005:43)، وموقع الدانقيل حيث تم احاطت المعبد بسور مستطيل الشكل (Anderson and Ahmed: 1997-2002:31-32).

هناك العديد من المواقع المحصنة التي تعود إلي الفترة المروية المتأخرة، والتى أعتبرت بأنها نقطة تحول في السلطة المركزية بين الفترة المروية ومابعدها، وقد شهدت هذه الفترة تغير كبير في نظم الحكم

والاداراة وأنماط الإستيطان (Drzewiecki: 2013:153)، فوفقاً للمصادر المكتوبة تم إستيطان المنطقة غرب النيل بمجوعات سكانية جديده وصفهم إسترابو بأنهم ليبيون، بينما وصفهم البطالمة بأنهم نوبا (Wels-by:1996, :59) وقد سيطروا على أجزاء كبيرة من وادي النيل. ويعتقد أن المنطقة قد خضعت لأقلمة مع مرور الوقت (Eide et al: 1998:1094-1103)، خير مثال لهذه المواقع أم روين في صحراء بيوضة (Lohwas-ser, 2010:90)، وموقع حوش الكاب (Lenoble: 2004:124)، أم مرحي (Hakem: 1979: p.155)، وحوش الكافر (Drzewiecki:2016:54). وعلى سبيل المثال، يعتبر مبني حوش الكافر شبيها للمباني الدفاعية المحصنة بالإقليم، والمتميزة بأشكالها المنتظمة. تميز المبني بوجود الأبراج الدفاعية علي طول الحائط، ويتم الدخول اليه من خلال بوابتين تم تزويدهما بدفاعات إضافية تواجه أولاهما النيل بينما تواجه الأخرى الصحراء (Drzewiecki: 2016:54).

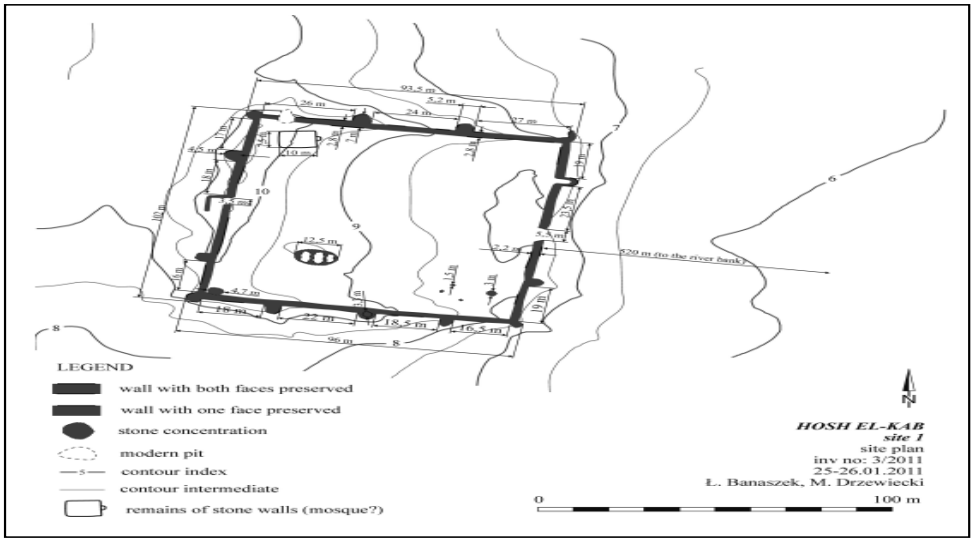

الشكل (9) نموذج للمواقع المحصنة، حوش الكافر

المصدر: (Drzewiecki: 2016)

المدن غير المحصنة:

يمكن ملاحظة أنه لم يعد إستخدام التحصينات سمة رئيسية للمدن خلال الفترة المروية الكلاسيكية والتي شهدت قمة تطور الإمبراطورية المروية –القرن الاخير قبل الميلاد والقرن الاول الميلادي-، فعلى سبيل المثال في منطقة البطانة -حيث المدن المروية الرئيسية النقعة والمصورات الصفراء-، أنه من الملاحظ عدم وجود الأسوار الدفاعية في هذه المناطق مما قد يعكس التعايش السلمي خلال تلك الحقبة وعدم وجود عداءات سياسية. وهناك نوعان من المدن غير المحصنة تمت الاشارة اليهما عن طريق أحمد الحاكم (1988)، هما المدن النيلية التي يلعب الاقتصاد الزراعي دورا كبيرا فيها، وهي تشمل كافة المواقع علي النيل والتى تتميز غالبا بوجود المباني الطينية المستطيلة (والتي بنيت في معظمها من الطوب الاخضر والاحمر) بينما بنيت القصور فيها من الحجر أو من المادتين معا، وذلك مثل مواقع الدانقيل، الحصا، المويس وود بانقا.

النوع الآخر هو مستوطنات البطانة والتي تضم غالبا حفاير ومعابد مثل المصورات الصفراء والنقعة والعواليب ، وفي بعض الأحيان تضم منازل الكهنة، وهذا النوع ينتمي إلي النمط البدوي شبه الرعوي في أودية منطقة البطانة التي يعيش سكانها في مباني يسهل تحريكها مثل القطاطي والمخيمات (Hakem: 1988:80).

ج. القلاع:

تقع أفضل الأمثلة للقلاع المروية في منطقة كارانوق، وهو مبنى مربع الشكل ملحق به أجزاء ضخمة، إعتمد في مادة بناءه على الطوب اللبن بشكل كبير مع حوائط بلغ سمكها 120سم (Woolley: 1911:10)، وقد قسم المبني في طابقيه الأرضي والعلوي إلى غرف صغيرة مربعة بلغ عددها 22 غرفة متداخلة مع بعضها، عُرف وإستخدم فيها الشكل المقوس في البناء «Arch» وكان النمط الغالب في البناء هو النمط المحلي ذو الاقواس المتوازية. حوت ثلاثة من تلك الغرف علي العديد من النوافذ في حوائطها الخارجية وهي مختلفة في أشكالها، وقد أشارت المعالم الداخلية للمبانى مثل الأبواب والكوات إلى عادات بُناتها (Woolley: 1911:11).

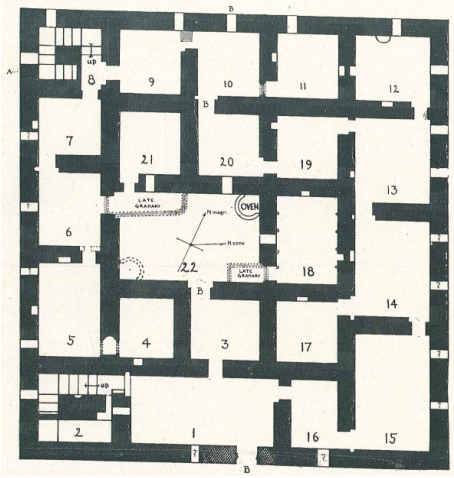

الشكل (10) نموذج للقلاع ، موقع كرانوق

المصدر: (Woolley: 1911)

٥. المباني الصروحية:

عرف هذا النوع من المباني في عدد قليل من المواقع المروية، وهي مباني مميزه في طابعها الفني لكن لاتزال وظيفتها غير واضحة، وافضل الامثلة عليها التسويرة العظيمة في المصورات الصفراء، المبني المدور في ود بانقا، والبرج الجنوبي في قصر ابريم (Adams: 1980:266).

وعلى سبيل المثال، نجد أن التسويرة العظيمة في المصورات الصفراء تحتوي على عدد من المباني الرئيسية التي عرفت تقليديا بأنها معابد محاطة بتسويرات لها بوابات وعدد من الغرف الصغيرة (Hintze: 1968:676). ويتضح أن أهم هذه المباني هو المعبد 100، الذي تم تفسيره بواسطة هينتزا على أنه معبداً لآمون (1968:676). والمبني عبارة عن غرفة مستطيلة أمامها رواق محاط بصف من الأعمدة و حلقة من الغرف بكافة الجوانب. من الجانب الآخر لصف الأعمدة إلي الأمام وضعت عدد من الغرف كحد، وربما كانت

تمثل مبني في شكل برج. تم دعم سقف الغرفه المركزية باربع من الأعمدة والتى يتم الدخول إليها عبر بوابة مركزية في الحائط الشرقي، وبوابة أخرى في النهاية الشرقية للحائط الشمالي. كذلك هناك اربع فتحات كبيرة في الحائطين الشمالي والجنوبي تمتد مع المستوي الأرضي للبناء، وتوجد كوة مربعة في الحائط الغربي وأخرى أصغر منها في الحائط الجنوبي (Welsby: 1996:145) أما المعبدان الآخران فقد تم الوصل بينهما بجناح من الغرف التي تم تفسيرها على أنها غرف للعرش وهي جزء من مبني معقد في شكل معبد وقصر (Welsby: 1996:145). كشفت أعمال آثارية أخرى على أنه قد تم إستخدام بعض أجزاء الفناء كحديقة محفوفة بخطوط من الأشجار (Wolf, 2004:437-439)، بينما تم إستخدام المساحة خارج حائط التسويرة الشمالي كورشة لتصنيع الفخار (Edwards: 1999:14).

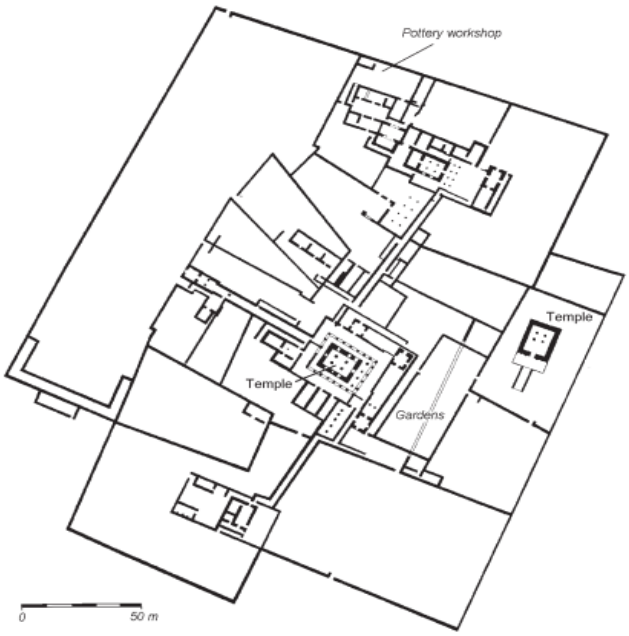

الشكل (11) نموذج للمباني الصروحية، المصورات الصفراء

المصدر: (Edwards: 2004)

أنماط ووظائف المعمار المدني المروي:

يوضح الجدول أدناه أنماط المباني الحضرية المروية بناءً علي توزيعها الجغرافي ، وهو نسخة مطوَرة من تصنيف ويليام آدمز عام 1980 (1980: 257-256).

الجدول (1)، أنماط ووظائف المعمار المدني المروي

معبد	قصر	ورشة	جباتة	مباني تجارة وتخزين	المعمار المحلي	التحصينات والحوائط التسويرية	المباني الصروحية	الحفائر	
اقليم مروي									
مروي	■	■	■	■	■	■	■	■	
الكيتواب	■		■			■	■		
الدانقيل	■		■	■			■		
الحماداب	■	■	■	■	■	■	■	■	
الحصا	■		■						
ود بانقا	■	■	■		■			■	
المويس	■	■	■	■	■	■			■
ابورتيلة	■	■	■	■		■			■
النقعة	■	■		■	?	■		■	■
المصورات	■		■				■	■	■
أقليم نبته									
جبل البركل	■	■	■	■	■			■	
الكوة	■	■	■	■	■	■	■	■	
صلب		■	■		■	■			
اقليم الشلال الثالث									
كرمة دوكي قيل	■	■	■	■		■			
كدرمة	■	■	■	■	■	■			
أقليم مابين الشلالين الثالث والثاني									
صادنقا	■			■					
صاي	■			■	■	■			
مينارتي									

معبد	قصر	ورشة	جبانة	مباني تجارة وتخزين	المعمار المحلي	التحصينات والحوائط التسويرية	المباني الصروحية	الحفائر	
اقليم مابين الشلالين الثاني والاول									
فرص									
جبل عدا									
قصر ابريم									
كرانوق									

المصدر: مطوَر عن آدمز (1980: 257-256)

يمكن تصنيف الموقع وفقاً للمواد المشروحة في الجدول رقم (1) على أنه مدينة أو ماعداها من اشكال الاستيطان الأخرى. وليس من الضروري أن توجد كل هذه السمات في مكان واحد، فعلى سبيل المثال يرتبط بعض منها بأقاليم معينة حسب طبيعتها، مثل وجود الحفائر في منطقة البطانة، ووجود التحصينات في المواقع التي تتمركز في المناطق الحدودية.

من الملاحظ كذلك أن بعض المواقع ظهرت على أنها مراكز دينية أو مباني دينية معقدة مع المنشآت المتصلة بها، وفي هذه الحالة لانحسب أنها مدن، ذلك نسبة لغياب أثر الاستيطان والمباني المحلية فيها، عليه فان مواقع مثل البركل «نبته» ، المصورات الصفراء، والعواليب ليست بمواقع مدن، ولكنها مراكز دينية ملوكية، وقد أوردناها في الجدول على سبيل المقارنة بحكم الوجود االملكي المكثف فيها.

خاتمـة:

لقد إتضح جلياً من خلال ماتم من أعمال آثارية أن الحضارة المروية قد عرفت المدن والتحضر منذ بداية عهدها وحتى نهايته،-ذلك نسبة لموقعها الجغرافي المتميز في الربط بين أفريقيا شمالها وجنوبها ولما ورثته من تقاليد حضرية ضاربة في القدم. أُسست بعض هذه المدن قبل بداية الفترة المروية على الأقل منذ عصر الدولة المصرية الحديثة ونبتة، وإستمر إستخدامها وتطويرها حتى نهاية مملكة مروي، مواقع مثل الكوة، تابو، ودوكي قيل بكرمة، بعض منها تغيرت وظيفته والبعض الآخر لم يستمر، بعضها لم يكن مدن حقيقية كما ذكرنا مثل جبل البركل والمصورات الصفراء، وبعضها ظهر مع الفترة المروية الكلاسيكية، مثل مواقع الحماداب، النقعة، كدرمة ، المويس والحصا ، وهي مدن مشتركة الطابع والسمات .

تبين مما تقدم، أن هناك نمطان متميزان من التحضر في الفترة المروية. يشمل الأول علي مواقع النوبة السفلى، مثل كرانوق، قصر إبريم، وجبل عدا. حيث تقع هذه المستوطنات في مواقع مثالية للإستفادة من التجارة الخارجية وكذلك عوامل الدفاع بحسب أنها تقع في المناطق الحدودية. ويبدو أن هذا النمط من

المدن قد تشكل تدريجياً بمرور الزمن من خلال التصاعد التدريجي للسكان القادمين من مجتمعات ومناطق أخرى. وينعكس هذا التركيز التدريجي من خلال الطابع المتكتل للهياكل المعمارية الداخلية فيها.

يقع النمط العمراني الثاني في المناطق المروية الوسطي-قلب الأراضي المروية- ، وهو يشمل في المقام الأول المواقع على إمتداد النيل والوديان. حيث تظهر الوديان تسلسلات طويلة من مواقع الإستيطان تمتد تاريخياً إلى ما قبل الفترة المروية. وقد تميزت مواقع هذا النمط الواقعة في مناطق غنية بالأراضي الزراعية بمرافق التخزين الضخمة المتصلة بمبانيها الأثرية ، والصلات الوثيقة بين المباني المحلية وورش التصنيع. هذا النمط يوجد في مواقع مثل مروي، النقعة، ود بانقا والحماداب، وهي حقيقة توحي بالسيطرة الملكية المباشرة على الإنتاج عن طريق المنشاءات الملكية كالحفائر والمعابد والمخازن المرتبطة بالقصور.

References:

(1) Adams, W. (1977) *Nubia, Corridor to Africa.* London.

(2) Adams, W. (1980) Meroitic architecture: An analytical survey and bibliography. *Meroitica, No.* 7, Berlin, pp255-279.

(3) Addison, F. (1950) Archaeological discoveries on the Blue Nile, *Antiquity, No,* 24, PP12-24.

(4) Ahmed, S, and Anderson, J. (2005) Le temple d'Amon à Dangeil (Soudan), Bulletin de la Société Française d'Égyptologie ,No.162. Paris, pp. 10-27.

(5) Anderson, J., and Ahmed, S. (1997) Archaeological reconnaissance in the Berber-Abidiya Region (1998-2002), in *Kush, No.* 18, pp. 25-34.

(6) Barberini, S. (2010) Gebel Barkal "Season1998" Reconstruction of the Courtyard in B1500, in *Between Cataracts*: proceedings of the 11th Conference of Nubian Studies Warsaw University .Vol.1, pp169-180.

(7) Baud, M. (2014) Downtown Muweis-A progress Report (2007-211), in Anderson. j, and Welsby, D (eds.), *The Fourth Cataract and Beyond*, proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies held at Paris, Walpole, MA, pp 763-782.

(8) Baud, M. (2008) The Meroitic Royal City of Muweis: First Steps into an Urban Settlement of Riverine Upper Nubia ,in *Sudan and Nubia, the Sudan Archaeological Research Society, Bulletin*, No,12, pp52-63.

(9) Bradely, R. (1980) Comments on Meroitic Architecture, *Meroitica, No.* 7, Berlin, pp 280-286.

(10) Dabieslawa.B. (2015) the Meroitic Pottery from Selib. *In* Michael. H. Zach (ed.), *The Kushite World*, proceedings of the 11th International Conference for Meroitic Studies, held at Vienna, 1-4 September 2008, pp249-264.

(11) Drzewiecki , M. (2016) Mighty Kingdoms and their Forts. The Role of Fortified Sites in the Fall of Meroe and Rise of Medieval Realms in Upper Nubia, Institute of Mediterranean and Oriental Cultures of the Polish Academy of Sciences, Nubia VI. Warsaw.

(12) Drzewiecki, M. (2013) Fortifications and the Post-Meroitic Period in Upper Nubia: Some Thoughts. *In* Jesse. F, Carola V., and Heinrich-B., (eds.), *The Power of Walls - Fortifications in Ancient Northeastern Africa*, Proceedings of the international workshop held at the University of Cologne 4th-7th August 2011, pp 145-160.

(13) Edwards, D. (1995) A Meroitic Settlement and Cemetery at Kedurma in the Third Cataract Region, Northern Sudan, in Archaeologie du Nil Moyen, Vol.7, pp.37-51.

(14) Edwards, D. (1996) *The Archaeology of the Meroitic State, New Perspectives on its Social and Political Organization*, Editor by John Alexander.

(15) Edwards, D. (1999) A Meroitic Pottery Workshop at Musawwarat es Sufra, Preliminary Report on the Excavations 1997 in Courtyard 224 of the Great Enclosure, with contributions by Steffen Wenig, Hans-Ulrich Onasch and Laurence Smith. In *Meroitica* 17,2. Berlin.

(16) Edwards, D. (2004) *The Nubian Past. An archaeology of the Sudan*. London.

(17) Eide, T., Hägg, R., Pierce, H., and Török, L. (eds.), (1998) *Fontes Historiae Nubiorum. Textual sources for the history of the Middle Nile Region between the eighth century BC and the sixth century AD*,Volume III From the first to the sixth century AD. Bergen.

(18) EL Bushra, E. (1971) Towns in the Sudan in the Eighteenth and Early Nineteenth Centuries, *Sudan Notes and Records*, Vol52, pp63-70.

(19) El- Tayeb, M, and Bolosowska, E. (2005) the Awlib Temple Complex: Kom B and Its Pottery Assemblage, Gdanak Archaeological Museum, African Reports, 3, pp.67-78.

(20) Fantusati. E., Kormysheva. E., and Malykh, S. (2014) Survey in Adu Erteila: Prliminary Results. *In* J. Anderson and D. Welsby (eds.), *The Fourth Cataract and Beyond, Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies held at Paris*, Paris-Walpole, MA, pp739-757.

(21) Fitzenreiter, M., Seiler, A., and Gerullat, I. (1999) Die Architektur, Musawwarat es Sufra II - Die Kleine Anlage, in *Meroitica. Schriften zur altsudanesischen Geschichte and Archäologie*, Band/Jahrgang: 17,1, PP.1-53.

(22) Griftth, F. (1926) Oxford Excavation in Nubia, *L.A.A.A*, No.13, pp.17-35.

(23) Hakem, A. (1979) University of Khartoum Excavations at Sururab and Bauda, North of Omdurman. *Meroitica*, No. 5, pp.151–155.

(24) Hakem, A. (1988) Meroitic Architecture: A background of an African Civilization. Khartoum, Sudan : Khartoum University Press

(25) Hinkel, F. (1991) Proportion and Harmony the Process of Planning in Meroitic Architecture , in W.V. Davies (ed.), *the British Museum in Collaboration With the Egypt Exploration Society Egypt and Africa, Nubian from Pre History to Islam*, pp 220-225.

(26) Hintze, F. (1968) Musawwarat es Sofra, Report on the Excavations of the Institute of Egyptology, Humboldt University, Berlin, 1963-1966 'Fourth to Sixth Seasons', in *Kush*, No 15, pp 283-298.

(27) Lenoble, P. (2004) El-Hobagi, in Welsby, D.and Anderson, J (eds.), *Sudan Ancient Treasures An Exhibition of Recent Discoveries from the Sudan National Museum*, London , pp.193–197.

(28) Lenoble, P. and Rondot, V. (2003) *A la redécouverte d'El-Hassa: Temple à Amon, palais royal et ville de l'empire méroitique*, Cahiers de recherches de l'Institut de Papyrologie et Égyptologie de Lille (CRIPEL), Vol.23

(29) Maillot, M. (2015) the Meroitic Palace and Royal city, in *Sudan and Nubia , the Sudan Archaeological Research Society*, Bulletin No. 19, pp 80-87.

(30) Maillot, M. (2016) Palais et grandes demeures du royaume de Méroé, PUblishe in Paris-Sorbonne, Paris.

(31) Millet, N. (1967) 'Gebel Adda preliminary report 1965-1966'in *Journal of the American Research Centre in Egypt, No.* 6, pp.53-64.

(32) Nowotnick, U, Pawel W, Florian W, Saskia B, and Maren, M. (2017) Hamadab Urban Living at the Nile in Meroitic Times, Published at the Websites: www.qasab.org/www.dainst.org, pp.1-26.

(33) Onderka, P., and Vrtal, V. (2014*) Nubia. A land on the Crossroads of Cultures Wad Ben Naga*. Prague.

(34) Rocheleau, C. (2008) *Amun Temples in Nubia. A typological Study of New Kingdom, Napatan and Meroitic Temples*. British Archaeological Reports International Series,1850. Archaeopress, Oxford.

(35) Shinnie, P, and Anderson, J. (2004) The Capital of Kush 2. Meroe Excavations 1973-1984, *Meroitica*, No 20. Berlin.

(36) Shinnie, P. (1979) Urbanism in the Ancient Sudan, in J. Ruffle, G. Gaballa and A. Kenneth (eds.), *ORBIS AEGYPTIORUM SPECULUM Glimpse of Ancient Egypt, Studies in Honor of H.W. Fairman*, pp123-125.

(37) Shinnie, P., and Bradley, J. (1980) The capital of Kush1, Meroe Excavations 1965-1972, *Meroitica 4,* Berlin.

(38) Torok, L. (1997) Meroe City and Ancient African Capital. Jhon Garstang`s Excavations in the Sudan. London.

(39) Vercoutter, J. (1962) *Un palais des „Candaces“ , contemporain d`Auguste (Fouilles a` Wad-ban-Naga 1958-1960)*. Paris

(40) Vrtal, V. 2014 The Circular Building (WBN50), in P. Onderka and V. Vrtal (eds), *A land on the Crossroads of Cultures*, Wad Ben Naga 2014, Prague, pp.152-163.

(41) Welsby, D. (1996) *The Kingdom of Kush: the Napatan and Meroitic Empires*. London.

(42) Welsby, D. (2005) the Kingdom of Kush. Urban Defenses and Military Installations. In, N. Crummy (ed.), *Image, Craft and the Classical World. Essays in Honor of Donald Bailey and Catherine Johns* (Monogr. Instrumentum 29), Montagnac, pp. 39-54.

(43) Wildung, D and Kroeper, K. (2006) *Naga. Royal City of Ancient Sudan*, Staatliche Museen zu Berlin, Berlin.

(44) Wolf, P, and Nowotnick, U. (2006) Hamadab- A Meroitic Urban settlement Excavations 2001-2003, in *Archaeologie Du Nil Moyen, Fouilles au Soudan et en Nubie*, Vol.10,edited by Francis Geus, pp.257-264.

(45) Wolf, P. (2004) Toward an Interpretation of the Great Enclosure of Musawwarat es-Sufra, Sudan. In *Nubian Studies*, Proceedings of the Ninth Conference of the International Society of Nubian Studies August 21-26, 1998 Boston, Massachusetts, pp 436-445

(46) Wolf, P., Nowotnick, U, and Hof .C (2015) Hamadab – Insights into Development and Lifestyle of a Meroitic Urban Settlement, In Michael. H. Zach (ed.), *The Kushite World*, Proceedings of the 11th International Conference for Meroitic Studies, held at Vienna, 1-4 September 2008, pp 1-29.

(47) Woolley, L. (1911) *Karanòg, The Town*, University of Pennsylvania, Publications of the Egyptian Department of the University Museum, Eckley B. Coxe Junior Expedition to Nubia, Vol.5, Published by the University Museum, Philadelphia, Mcmxi.